الفكر العقدي للشيخ ابن عبد الكريم المغيلي التلمساني وامتداداته في افريقيا الغربية

مقلاتي عبد الله/ جامعة المسيلة

مقدمة:

قضى الشيخ المغيلي في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري سنوات طويلة مدرسا ومعلما في توات، واجتهد لاكثر من عشرين سنة في الدعوة إلى الإسلام ونشر أحكامه وأفكاره بين شعوب الصحراء والسودان الغربي، ولا شك أن مساهمته كانت كبيرة في نشر تعاليم الإسلام، وتصحيح مفاهيم العقيدة الاسلامية، وخاصة عندما طرحت قضية يهود توات، وقد عاصر المغيلي انتشار ظواهر كثيرة ألبست العقيدة الإسلامية الصافية، ومنها ادعاء الولاية والكشف، وادعاء العلم بالغيب، وتعاطي السحر والشعوذة، وانتشار الفرق المظللة، وفي البيئة الصحراوية انسابت هذه الأفكار والبدع فتصدى لها المغيلي ونبه إلى مخاطرها، وقد ألف عدة مصنفات انتقد فيها هذه الظواهر واجتهد في محاربة البدع والشبهات.

ومن تصانيفه المهمة في هذا الباب، رسالته "تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين"، والتي عرض فيها لموضوع الولاية، وانتقد ادعاءات المبطلين وأدعياء العلم والتصوف، وألف المغيلي "مصباح الارواح " في العقيدة، كما صنف رسالة شهيرة في الرد على المعتزلة وتشنيع معتقداتهم الفاسدة، وحاجج السيوطي في مسألة تعلم

المنطق، وفي مداخلتنا هذه نحاول قراءة فكر الشيخ المغيلي من جديد على ضوء مواقفه واثاره، وذلك بهدف ابراز خصوصيات فكر الرجل وجهوده في اثراء الفكر العقدي.

أولا: لمحة تعريفية بالشيخ المغيلي

الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي هو احد علماء القرن الخامس عشر الميلادي المرموقين، اشتهر بعلمه الواسع، ومواقفه السياسية الصارمة، ونشاطه الإصلاحي المجدد، اضطر في عام 1452 لترك تلمسان واللجوء الى توات، وذلك هروبا من مفاسدها ورغبة منه في نشر العلم والدعوة في سبيل الله، وهناك جلس للتدريس وبنى زاويته القادرية، وذاع صيته في كامل الصحراء وبلاد السودان، حارب اليهود الذين استبدوا واستكبروا في توات، ورأى بعدها أن ينتقل الى السودان لنشر الإسلام والقضاء على البدع والوثنية، وقضى وقتا طويلا هناك في الدعوة والإصلاح، حيث خلف هناك تلامذة وأتباعا اقتفوا منهجه واقتبلوا فكره، وهكذا أصبح له حضور قوي في أقطار السودان الغربي وما يزال الى اليوم يمثل مرجعية أساسية لعلماء افريقيا الغربية([1]).

1 . حياة المغيلي

لم تفرد دراسة خاصة لحياة المغيلي، ولا تزال كثير من جوانب حياته مخفية، وقد كان احمد بابا التمبكتي أول من أرخ لحياة المغيلي، وعنه نقل ابن مريم ولم يزد شيئا مهما عن حياة المغيلي، وفي العصر الحديث بدأ بعض الباحثين في تناول جوانب من حياته، لكنها عموما لا تستوفي تفاصيل حياة الرجل في تلمسان وتنقلاته الى الجزائر وبجاية، واستقراره في توات ورحلاته الى السودان الغربي.

---

1 للتعرف على حياة الشيخ المغيلي وجهوده الإصلاحية انظر، مقلاتي عبد الل: موقف الشيخ المغيلي من يهود توات، مرجع سابق، ص. ص, 253. 266

. مولده ونسبه:

اختلفت المصادر حول تحديد سنة ميلاد الشيخ المغيلي، فذكر البعض انه ولد عام 790هـ/ 1388م،([1]) وهذا التاريخ بعيد عن الصحة، اذ لا يعقل ان المغيلي حارب اليهود في المرة الثانية سنة 902هـ وعمره يناهز المائة عام علما انه قاد الجيش بنفسه، ولا تشير المصادر الى انه عمر طويلا، وذكرت مصادر اخرى انه ميلاده كان في حدود عام 820هـ/ 1417م،([2]) والتاريخ الاخير أقرب الى الصحة في نظرنا. وأما تاريخ وفاة المغيلي فهو محل اجماع مختلف المصادر التي تضبطه بسنة 909هـ/ 1503م.

وتصل المصادر التواتية نسب المغيلي الى الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو محمد بن عبدالكريم، بن محمد بن المغيلي، بن عمر بن مخلوف بن علي، بن الحسين بن يحي بن علي بن محمد، بن أحمد بن عبد القوي، بن العباس بن عطية، بن مناد بن الري، بن قيس بن غالب، بن ابي بكر، بن ابي بكر (هكذا مكرر) بن عبدالله، بن ادريس بن ادريس(هكذا مكرر)، بن عبدالكامل بن الحسن المثنى السبط بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.([3])

والمغيلي هو واحد من علماء تلمسان المرموقين، اشتهرت اسرته بالعلم والجاه، ولد بمغيلة، وهي بلدة قريبة من تلمسان.

. نشأته وتعلمه

---

1 مخطوط الشجرة الجامعة لكبرى انساب سكان توات، خزانة الشيخ سيدي عبدالله البلبالي، كوسام،

2 ذكر ذلك المؤرخ أحمد بن القاضي المكناسي تلميحا عندما تحدث عن وفاة احمد بن محمد المغراوي، انظر أحمد بن القاضي: كتاب الوفيات، مصدر سابق، ص 241

3 انظر مخطوط الشجرة الجامعة لكبرى انساب سكان توات، المصدر نفسه، ومخطوط النسب لابن الفقيه أحمد بن عبدالرحمان بن احمد الحبيب، خزانة كوسام، أدرار

نشأ المغيلي ببلدة مغيلة، وبها نشأ في عائلة لا نعرف عنها الكثير، ولكنها عرفت بتقواها وصلاحها وتصوفها، وقد نبغ من افراد اسرته من علماء كثيرون، نذكر منهم: الشيخ موسى بن يحي بن عيسى المغيلي المازوني، درس المغيلي بمسقط رأسه في الكتاب على يد شيخ مغيلة محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي الجلاب، حفظ عنه القرأن الكريم، وأخذ عنه مبادي العلوم الدينية واللغوية المتداولة في عصره،

وانتقل إلى بجاية والجزائر حيث تلقى العلم عن شيوخها، ثم قدم إلى تمنطيط لأسباب غير واضحة، ولعلها استجابة منه لنداء شيخه عبد الرحمن الثعالبي عندما نصحه "بأن لا يعشر أهل سفاهة، وأن لا يستوطن مكان إهانة"، إذ وجد المغيلي الأحوال مضطربة بتلمسان بسبب جور الحكام ومفاسد اليهود، وألمه سكوت العلماء عن تغيير المنكر[1]، ونظرا لنشاته الصوفية ورغبته في نشر العلم والدعوة الإسلامية اختار بلاد توات.

. شيوخه:

تتلمذ الشيخ المغيلي على شيوخ كثر من أبرزهم:

. الشيخ محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي المشهور بالجلاب التلمساني: فقيه مالكي تخرج على يديه العديد من علماء تلمسان، قال عنه تلميذه السنوسي بأنه كان حافظا لمسائل الفقه ومحصلا للعلوم، وقد خلف الجلاب العديد من الفتاوي في المعيار والمازونية، وتوفي عام 875 هـ 1470 م([2]).

(1)- نستبعد أن تكون الحادثة التي وقعت للونشريسي صديق المغيلي مع سلطان تلمسان الدافع الرئيسي لهجرته كما يذهب جل من ترجم له بحكم أن هذه الفتنة حدث سنة 1472 بعد هجرة المغيلي بسنوات عديدة.

2 أحمد الونشريسي: وفيات الونشريسي، ص 149

. الشيخ عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي: ولد عام 786 هـ 1384 م بوادي يسر، انتقل إلى بجاية لتحصيل العلم، فأخذ عن فقهائها، ومنهم عبد الرحمان الوغليسي، ثم انتقل إلى تونس وأخذ عن علمائها، وسار إلى مصر ولقي علمائها وتحصل على إجازتهم، وبعد الحج عاد إلى تونس فأخذ عن ابن مرزوق، وعاد إلى بلده وولي القضاء، لكنه استقال منه وتفرغ للعلم والتصوف، نبغ في كثير من العلوم وخلف العديد من الكتب في التصوف والفقه، ومنها: "الأنوار المضيئة بين الشريعة والحقيقة"، وكتاب "الدر الفائق في الأذكار والدعوات" و"قطب العارفين"، وله في التفسير كتاب "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، وفي الفقه "روضة الأنوار ونزهة الأخيار"، ومختصر على خليل، كان له الفضل في نشر الطريقة القاديرية في المغرب الأوسط ويعد المغيلي من أبرز تلاميذه([1]).

. يحي بن يدر بن عتيق التدلسي: من كبار فقهاء المالكية بتلمسان، حل بتمنطيط سنة 845هـ/1441م, كان له أثر بارز بها, تصدر لتحفيظ كتاب الله, وقواعد العربية, درس على يده كثيرون, منهم: الشيخ بن عبد الكريم المغيلي, وعبد الله العصنوني, شغل منصب القضاء بتمنطيط، فعرف بعدله واستقامته, لا يخشى في الحق لومة لائم, وافته المنية سنة 877هـ/1472م, ودفن بمقبرة أولاد سيدي علي بن موسى بتمنطيط([2]).

. رحلاته :

عرفنا أن المغيلي تنقل في حواضر مختلفة من بلاد المغرب الاوسط للدراسة، ومنها تلمسان وبجاية والجزائر، وقد حل بتوات في حدود سنة، وعندما عارضه قاضي توات عبدالعصنوني في مسألة اليهود، اضطر الى السفر الى المغرب الاقصى، حيث عرض قضيته

---

1 انظر أحمد بابا التمبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص ص 257. 259

2 محمد بن عبد الكريم: درة الأقلام, المخطوط السابق, ص19

على السلطان بحضور العلماء، وجلس للتدريس بفاس مدة، كان من بين من أخذ عنه العلم بها محمد بن عبدالجبار الفجيجي، وعاد المغيلي الى توات، ولما تمكن من اخراج اليهود من توات عزم على السفر الى بلاد السودان لنشر الاسلام، حيث تجول بين مختلف مناطقه، وحج خلالها الى مكة المكرمة حيث التقى بعض علماء المشرق ومنهم الامام السيوطي.

تلاميذه:

تفرغ الشيخ المغيلي للتدريس ودرس خلال تنقلاته المختلفة في مناطق الغرب الاسلامي كثير من الطلاب وتخرج على يده الكثير، بعضهم ذاع صيته واشتهر في المغرب وتوات والسودان والمشرق العربي. ومن ابرز تلاميذه نذكر:

. عمر الشيخ بن أحمد البكاي بن محمد الكنتي: ولد عام 865هـ/ 1460م، درس على يد والده، وانتقل الى المغرب لاستكمال دراسته، وسافر الى مصر والشام ونهل من معارف علمائها، وبعد أداء فريضة الحج عاد الى بلاد السودان، والتقى هناك بالمغيلي فأخذ عنه العلوم، وقرر مرافقته في سفرياته لنشر الإسلام بالسودان، وقد لازمه مطولا، حيث حج معه وحل رفقته بتوات، أخذ عن المغيلي علوم الفقه والعقيدة والسياسة الشرعية وأخذ عنه الطريقة القادرية، ويعتبر من ابرز تلاميذ المغيلي الذين ورثوا علومه واقتفوا اثره في نشر الإسلام والإصلاح الديني([1]).

. الشيخ العاقب بن عبدالله الأنصمني المسوفي: من علماء أكدز، ولد بقرية انصمان، وهو من تلاميذ المغيلي، درس بمسجد الكرامة الذي بناه المغيلي وجلس للتدريس به، قال عنه أحمد بابا :" فقيه نبيه ذكي الفهم حاد الذهن وقاد الخاطر مشتغل بالعلم، في

1 بول مارتي: كونتة الشرقيون، ص 32ـ 33، وأحمد حمدي: المرجع السابق، ص. ص 39ـ 40

لسانه حدة"([1])، كان ملازما للمغيلي اثناء تنقلاته بالسودان وقد عنه العلم ومنهج الاصلاح وتأثر بافكاره وسلوكاته([2]).

. محمد بن أحمد بن أبي محمد التاذخني: من علماء التكرور، نبغ في علوم الشريعة واللغة، وانتقل الى تكدة للدراسة على يد الشيخ المغيلي، فأخذ عنه الفقه والحديث والعقيدة والمنطق..الخ، وسافر الى المشرق واخذ عن علمائها، وعاد ليستقر بكشنة، حيث تولى قضائها، وبها توفي في حدود عام 936هـ/ 1529م([3])

. ابراهيم بن عبدالجبار الفجيجي: من اسرة مشهورة بالعلم ببلدة فجيج، درس على يد والده المشهور بالعلم، واكمل دراسته في مدينة فاس، ثم قصد تلمسان واخذ عن علمائها، ورحل الى المشرق واجازه بعض علمائه ومنهم الامام السيوطي، عاد الى فجيج وتولى القضاء بها، ونظرا لاضطراب الوضع الامني بالمدينة فضل الهجرة الى بلاد السودان، فنزل بتوات وصادف نزوله ثورة المغيلي الأولى على اليهود، وقد شاطر موقف المغيلي وهاجم عبدالله العصنوني وأعيان توات المناصرين لبقاء اليهود بتوات، وهجاهم في قصيدة طنانة، استقر مدة في توات ملازما للشيخ المغيلي واخذ عنه كثير من العلوم ومنها الفقه والحديث والسياسة الشرعية والمنطق، وتأثر بأفكاره ومنهجه الاصلاحي، وقد انتقل رفته الى السودان وظل ملازما له، واتبع منهجه في الدعوة للاسلام ببلاد السودان، حيث استقر ببلاد برنو، وتوفي بها عام 954هـ/ 1547م([4])

1 بلو محمد: انفاق الميسور، ص 65

2 محمد بلو: المصدر نفسه، ص 65

3 محمد بلو: المصدر نفسه، ص ص 74. 75

4 انظر محمد حجي: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج2، صص 512. 513

. مكانته العلمية في نظر معاصريه:

أشاد كثير من العلماء بشخصية المغيلي وجهوده الاصلاحية، وعدوه قطبا من أعلام بلاد المغرب الاسلامي، فقد وصفه ابن أبي مريم بـ" القدوة الصالح الحبر، أحد أذكياء العالم وأفراد العلماء الذين أوتوا بسطة في العلم والتقدم". ووصفه معاصره محمد السنوسي بـ:" القائم بما أندرس في فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي يكون القيام بها، لا سيما في هذا الوقت علم على الاتسام بالذكورة العلمية والغيرة الإسلامية". ويقول عنه بول مارتي: " ونحن نعلم . حسبما هو متداول من معلومات . أن الإسلام دخل إلى بلاد الجرما والبلاد المجاورة إلى تساوة(*Tessaoua*) ، وزندر (*Zinder*) بواسطة الشريف الكبير محمد بن عبد الكريم المغيلي، أو بالأحرى بواسطة تلاميذه المباشرين في القرن الخامس عشر«، إلى أن يقول: »لقد هبط المغيلي مع نهر النيجر إلى ناحية ساي"، ويضيف قائلا: " وأرسل بعثات من قبله إلى بلاد جرما جندا(*Djermagenda*) ، وربما إلى الشرق أيضاً...

ثانيا: . الفكر العقدي للشيخ المغيلي.

عاصر المغيلي انتشار ظواهر كثيرة ألبست العقيدة الإسلامية الصافية كادعاء الولاية والكشف، وادعاء العلم بالغيب، وتعاطي السحر والشعوذة، وانتشار الفرق المظللة، وفي البيئة الصحراوية انسابت هذه الأفكار والبدع فتصدى لها المغيلي ونبه إلى مخاطرها، وقد ألف عدة مصنفات انتقد فيها هذه الظواهر واجتهد في محاربة البدع والشبهات.

ومن تصانيفه المهمة في هذا الباب، رسالته "تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين"، عرض فيها لموضوع الولاية، وانتقد ادعاءات المبطلين وأدعياء العلم والتصوف، ويظهر التحرر الفكري للمغيلي جليا وهو يبين أحكامه من الكتاب

والسنة([1])، وألف المغيلي رسالة شهيرة في الرد على المعتزلة وتشنيع معتقداتهم الفاسدة، وجاءت في شكل مناظرة علمية اعتمد فيها المغيلي أسلوب الجدل ليحاجج وينتقد آراء المعتزلة وادعاءاتهم ([2])، وينم تدقيقه وتحقيقه عن إلمام واسع بمسائل العقيدة وآراء الفرق الإسلامية.

وكتب المغيلي رسالة في التوحيد أرسلها إلى الإمام محمد بن يوسف السنوسي، ولا يعثر لها اليوم على اثر، لكن جواب السنوسي يتضمن كثيرا من أفكارها القويمة والسديدة، ومنها أساسا محاربة مظاهر الشرك.

ويظهر لنا المغيلي من خلال تصانيفه أنه يتمسك كثيرا بنصوص الكتاب والسنة النبوية، وينفي كل ما لا يوافقهما، كما يبدو المغيلي متأثرا بالسلف الصالح في أرائهم العقدية، ومن أهم الأحكام التي يؤكدها المغيلي إثبات الكمال لله تعالى والإعراض عن التاويل والحديث عن ذات الله تعالى، وعدم الإشراك به، ويؤكد المغيلي أن تصديق الكاهن بما يخبر به كفر، وأن الولي لا يبلغ درجة الأنبياء ([3])،

وقد اهتم المغيلي في دعوته وإصلاحه بأصول الدين، واجتهد في توضيح عقائده ومحاربة كل ما يخدش به من ادعاءات باطلة وبدع وضلالات، وبذلك نشر المبادئ السليمة للإسلام بين شعوب غرب إفريقيا وزاحم بفكره ومواقفه أراء الفرق المنحرفة وأدعياء

---

1 انظر ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ج 1، ص 144

2انظر الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي: رسالة في الرد على المعتزلة، مخطوط زاوية المغيلي، وقد حقق الدكتور عمار الطالبي هذه الرسالة ونشرها في مجلة القبس، ولاية أدرار، العدد 20

3 انظر بتفصيل, احمد الحمدي، المرجع السابق, ص.ص 84. 92

الكرامات والشفاعة والعلم بالغيب، وقد اعتمد المغيلي على المحاجحة، واثبات الصحيح من الأحكام العقدية المستمدة من الكتاب والسنة.

ويعتمد المغيلي النصوص الصحيحة كمصدر لمعرفة العقائد، وهي الكتاب والسنة النبوية، ويستبعد الاخذ بغيرهما، ويعتمد اراء العماء النابغين في معرفة علم العقيدة، ويبدوا متأثرا بعلماء تلمسان ومنهم الشيخ السنوسي وابن ايدير.

ويتأكد لنا على ضوء تتبعنا لجهود الشيخ المغيلي الإصلاحية وامتدادات أحكامه الفقهية والعقدية، أن المغيلي يعد بحق واحدا من رواد الإصلاح والمجددين، وانه سخر جهدا كبيرا في سبيل الدعوة إلى الله في أقطار السودان الغربي، ومثلت أفكاره الفقهية المالكية واجتهاداته وأفكاره العقدية، مجالا خصبا اغترف منه طلبة وعلماء السودان، وكانت لها تأثيراتها الواضحة في مختلف مجالات حياة السودانيين الدينية والاجتماعية والسياسية.

ثالثا: امتداد فكر المغيلي في السودان الغربي

إن المتأمل في مواقف وفكر الشيخ المغيلي يقف على ثراء واسع في اجتهادات الرجل، وفي هذا العرض نحاول إبراز إسهاماته في مجال السياسة الشرعية لنقدم قراءات تحليلية لمواقفه السياسية ولأفكاره، خاصة تلك المضمنة في رسالتيه الشهيرتين، والتي . وحسب علمنا لم يتم تحليل مضامينهما العميقة (فيما يجب على الأمير من حسن النية، وأجوبة أسئلة الأسقيا)، وقد أشارت بعض الدراسات الحديثة إلى أهمية أعادة قراءة التراث السياسي الإفريقي واستثماره في حل المشاكل السياسية الحاضرة وترشيد نظم الحكم([1])، ومعروف لدى علماء السياسة أن الكتابات المتعلقة بشؤون الحكم والإمارة في أفريقيا

1 TANSIR NIANE DJIBRIL: Le Soudan occidental au temps des grande empires. XI-XVI° siecles. Seuil.Paris. 1995,P 8

السوداء نادرة جدا، ونحسب أن المغيلي كان رجلا إفريقيا حقيقيا، وعالما وفيلسوفا ذا رؤية نافذة، فهو قد سبر أوضاع عصره، وقدم مشروعا سياسيا ومبادئ في الإمارة وسياسة الرعية، وهذا ما سنوضحه معتمدين على مواقفه وكتاباته.

1. مواقف المغيلى السياسية: المنطلقات وحدود الاجتهاد

وقف المغيلى بنظرة فاحصة متأملا في مشكلات عصره, وحكم على الإمارات المتنافسة بالضعف والانهيار، ولم يقصر اجتهاده في الفقه والمواريث، ولم يكتف بالخوض في أمور العقيدة واللغة والتصوف، لقد كان عالما متبصرا ومصلحا مجددا, عايش الصراعات السياسية في إمارة الزيانيين، وواجهته وهو مستقر بتوات نازلة اليهود([1])، كما طرحت عليه وهو في السودان الغربي قضايا سياسية عديدة، فاجتهد في خوض باب السياسة الشرعية، وقد تجند بالقول والعمل لأخطر مسألة عرفتها توات في عصره وتباينت حولها آراء العلماء، فأفتى صراحة بعدم جواز استحداث اليهود كنيسة في تمنطيط، ووجوب خضوعهم للمسلمين وهم صاغرون، لكن كثيرا من علماء توات والمغرب الإسلامي عارضوه ولم يجيزوا قتل اليهود حتى يظهروا ما ينقض عهدهم([2])، وانتظر المغيلي طويلا وهو يستفتي العلماء حتى وافقه الإمامان محمد السنوسي ومحمد التنسي في فتواه، فحمل على اليهود وقاد أنصاره ليخرجهم بالسيف من توات، واعتمد المغيلي في موقفه على نظرة سياسية استشرافية، ترتكز على خلفية ما يسببه نفوذ اليهود من إفساد وأضعاف لدولة الإسلام ومن

1 انظر، مقلاتي عبد الله: مواقف المغيلي من يهود توات، مرجع سابق، ص259.

2 – انظر بالتفصيل أراء ومواقف العلماء، الونشريسي ابي العباس احمد بن محمد: المعيار المغرب، مصدر سابق، ص.ص 176 – 191

تطاول على المسلمين([1]), وكان ندد بتطاول اليهود وتقربهم من أهل السلطان، وعاين حادثة اليهودي الذي ادعى الإسلام وظل يصلي بالناس مدة أربعين سنة([2])،

وبعد تطهيره لتوات من اليهود أصبحت للمغيلي كلمته المسموعة وكثر أنصاره، وتسنى له أن يشرع في تطبيق مبادئ السياسة الشرعية وردع الخارجين الأحكام الإسلامية، وتطلب الأمر إنشاء جهاز للشرطة عهد به إلى ابنه عبد الجبار، وأصبح المغيلي إماما للمسلمين في المناطق الخاضعة لنفوذه، وسمحت له ظروف الاستقرار هذه أن يلتفت للاهتمام أكثر بقضايا الإمارة والسياسة، خاصة وأنه كان يؤسس للإدارة وينظم مختلف شؤون المسلمين ويجابه مناوئيه من شيوخ قبائل توات الذين تحالفوا مع اليهود وعسكروا لمجابهة مشروعه السياسي([3]).

تعاظم اهتمام الشيخ المغيلي بأحوال إمارات المسلمين في السودان الغربي، ورأى أن يرتحل إليها للدعوة والإصلاح، وذلك بالرغم من التحديات التي كانت تجابه أنصاره وإمارته الناشئة في توات، وقد بذل جهودا كبيرة في الدعوة إلى الإسلام والنصح للحكام والأمراء، ووقف على أوضاع هذه المناطق مجتهدا في علاج مشكلاتها السياسية والاجتماعية، ووجد كما يبدوا الأجواء سانحة لأن يبعث نهضة إصلاحية في الإمارات الإسلامية وأن يسهم في

1 – انظر المهدي البوعبدلي: أضواء على تاريخ مدينة تمنطيط ودور المغيلي بها في قضية يهود توات، مرجع سابق، ص 89.

2 – محمد بن عبد الكريم التمنطيطي: تقييد حول تاريخ تمنطيط وتوات، مخطوط بالخزانة البكرية بتمنطيط، ص 3.

3 – انظر, يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ج2، ص 150.

نشر الإسلام بين شعوب الممالك الوثنية([1])، ونظرا لخصوصية المنطقة السياسية والاجتماعية تعين على المغيلي الاجتهاد في كثير من الأحكام السلطانية، وبعث نظم وقوانين إدارية تسير هذه الإمارات الحديثة العهد بالإسلام, وبذلك فسح أمامه باب واسع للاجتهاد والفتوى.

إن المغيلي في اجتهاداته الفقهية يبدوا مقلدا للمذهب المالكي، لكن ذلك لم يمنعه من الاجتهاد في المسائل الفرعية التي يختلف حكمها مع اختلاف الزمان والمكان، وقد أجاب عن كثير من الفتاوى بوضوح، معتمدا على الكتاب والسنة، ومستعينا باجتهادات العلماء، ونلاحظ تفهم المغيلي للظروف المعيشة للسكان والأوضاع الخاصة بأقاليم الصحراء والسودان الغربي وأعرافهم.

وأما الفكر العقدي للمغيلى فهو مؤسس على الكتاب والسنة وما تعارف عليه أهل السنة والجماعة وخال من الشوائب والبدع، وقد اجتهد في توضيح العقيدة الإسلامية ودحض العقائد الوثنية، وبفضل حنكته وشجاعته دخلت كثير من الشعوب الوثنية إلى الإسلام على يده([2])، وبنى المغيلي أحكامه السلطانية على مذهب أهل السنة والجماعة، متقيدا بنصوص الشريعة الإسلامية وأحكامها ومعتمدا اجتهادات علماء السياسة الشرعية كالماوردي، وابن تيمية...الخ، ومراعيا خصوصيات وأحوال الأمارات الإسلامية في الصحراء والسودان الغربي، وأوضح في أجوبته ورسائله الأحكام السلطانية التي تدير شؤون الأمارة

---

1 – انظر عبد القادر زبادية :الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي جهوده وشهرته خارج الجزائر، اعتمال المهرجان الثقافي الأول محمد ابن عبد الكريم المغيلي، ولاية أدرار (1985) م, وط م، وهران 1988)، ص 83.

2 – انظر أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص 78 وما بعدها.

وتحكم تعايش أهل الذمة مع المسلمين، وتصلح مختلف الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فكانت مساهمته بحق من أجل المساهمات في هذا الباب.

2- الخصوصيات الإفريقية في اجتهادات المغيلي السياسية

تضاربت الآراء في دواعي انتقال المغيلي إلى السودان الغربي، والراجح أنها رغبة شخصية منه من أجل الدعوة إلى الإسلام ونشر التعليم والأفكار الإصلاحية، لقد كانت بلاد السودان الغربي التي دخل أقاليمها الإسلام تحتل مكانة بارزة في الغرب الإسلامي، وتمثل مجالا خصبا للدعوة والإصلاح, وقد ازدهرت في عهد المغيلي بفضل ثرواتها وقوافل تجارتها الذاهبة والآيبة.

ونظرا لقربها وصلتها ببلاد توات قرر المغيلي اكتشاف المجتمع السوداني والاتصال بالإمارات الإسلامية، وقد كان يسمع عن أخبارها الكثير، ويأمل أن يضرب بسهم في الدعوة بين ألقبائل الوثنية، ومن جهة أخرى كانت شهرته قد نقلت خبره علمه إلى ممالك السودان الغربي ([1]).

ولا نعرف تفصيلا مدققا عن جولات المغيلي في بلاد السودان الغربي، وبعض المصادر تذكر أن رحلات المغيلي في بلاد السودان الغربي استمرت من سنة 1480م إلى سنة 1502([2])، ومدة عشرين سنة هذه كانت حافلة بالأعمال والمنجزات التي صبغ بها المغيلي وجوده في الممالك الإفريقية، وترتبت عنها آثار بالغة الأهمية خاصة ما تعلق بترشيد الحكم في الإمارات الإفريقية الإسلامية.

---

1 - انظر مقدم مبروك: الأمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، مرجع سابق, ص 101.

2 - انظر أعمال المهرجان الثقافي الأول محمد بن عبد الكريم المغيلي, مرجع سابق , ص 34.

نزل المغيلي أولا بمدينة أكدز وأسس بها مسجد الكرامة، ثم رحل إلى تكدة، حيث درس بها ونفع علمائها، وانتقل إلى كشنة حيث تولى بها قضاء الجماعة إلى جانب التدريس، ثم توجه إلى كانو حاضرة إمارة محمد رومغا، وفيها استقر مقامه، وقد قربه السلطان إليه وجعله مستشاره ووزيره، يرجع إليه في كل الأمور التي تواجهها مملكته, وقد وضع له المغيلي رسالته المشهورة في أحكام السلطة، والمتضمنة خلاصة أحكامه واجتهاداته ونصائحه المنسجمة مع الخصوصيات الإفريقية في السياسة والإمارة([1])، وبعد سنوات من التدريس والعمل السياسي والإداري انتقل إلى مدينة غاو عاصمة مملكة سنغاي سنة 1502، واتصل بالسلطان اسقيا محمد الكبير فخصه كذلك بحفاوة بالغة، وقربه إليه واستشاره في أمور السلطة، وطلب منه إجابته عن سبعة أسئلة فأجابه المغيلي، وبين له الأحكام الشرعية المتعلقة بإدارة السلطنة وأحوال الرعية([2]).

وقد اختار المغيلي في نهج دعوته التقرب من حكام الإمارات الإسلامية وكسب عطفهم ومناصرتهم لإصلاحاته، وهو يضع في الاعتبار مكانة الحاكم والزعيم في التأثير على القبائل الإفريقية، وضرورة اختصار الجهد والوقت في تبليغ الدعوة وإيصالها إلى أدغال إفريقيا المجهولة، وقد اجتهد في تكييف كثير من الأحكام السلطانية التي لا تخالف الشرع بحسب أحوال الممالك والمجتمعات الإفريقية، وذلك من اجل أن يرغب الحكام للتمسك بالدين،

1 - Ri ,Zarbo Joseph: Le Monde noir africaines histoire et civilisation (s.e) Paris ,1963, p121.

2 زيا دية عبد القادر: الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا جنوب الصحراء، م وك، الجزائر. 1989، ص 154.

ويرفع الحرج عن الرعية التي تعودت أعرافها، وتسري التشريعات الإسلامية لتكون مجارية للخصوصيات الإفريقية.

إنَّ المغيلي في نصحه لسلطان كانو وأمير سنغاي لم يكن يهدف إلى دعوة الأمراء لإعادة تجربة الخلافة الإسلامية بقدر ما كان يرمي إلى تصحيح الأوضاع الفاسدة، وإرساء إصلاحات تنظم شؤون الحكم بالقدر الذي لا يفجر وضعية الأقاليم المجزئة والمتقاسمة بين مجموعة من القبائل، والمغيلي كان مطلعا على طبيعة النظام القبلي الذي يحكم المجتمعات الافريقية ومدركا لحقيقة تقاسم السلطة بين القبائل، فأراد أن يثبت الأنظمة الصالحة ويرشدها لتخدم الرعية دون ان يعمل فيها ثورة قد تذهب بمشروعه الدعوي، وقد حافظت أقاليم ما وراء الصحراء على هذه الخصوصية في الفترة الحديثة والمعاصرة، وتمثل اجتهادات المغيلي إلى اليوم مرجعية مهمة في هذه المناطق الإفريقية لحل المشكلات السياسية، وفي هذا الإطار تندرج استنتاجات الباحث احمد العلمي حمدان الذي أوضح أن الأهداف التي خطها المغيلي في مشروعه الدعوي ارتكزت على: " دفع من بيده السلطة إلى تطبيق قواعد الشريعة، فليس بالمهم أن يكون مجتهداً، ولا أن يمتد حكمه إلى سائر بلاد الإسلام, بل فقط أن يحضر المقدس في رقعة حكمه، وأن يفي بواجب الرعاية التي من المفروض أنه موجود لأجلها"([1])، ولأن المغيلي عرف كيف ينفذ إلى قلوب هؤلاء الحكام والأمراء فيستمعوا إلى توجيهاته فإن مشروعه الإصلاحي سرعان ما سرى بين العامة وتقبلته الأنفس، وهكذا ظلت بصمات واجتهادات المغيلي في ترشيد الحكم السياسي سيدة الموقف، منها اغترف المصلح والزعيم عثمان ابن فوديو أحكامه في سياسة دولة الفلان

1 أحمد العلمي حمدان :استنصاح السودان للشيخ المغيلي، مجلة كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة فاس، عدد 3 (1988)، ص52.

الحديثة، وتتجلى أفكار وأراء المغيلي السياسية بوضوح في بلاد الحوصة التي افتتحها بدعوته وترك فيها تلاميذ حافظوا على نهجه الإصلاحي، ونقلوا أفكاره إلى الأجيال المعاصرة([1]).

3. رسالة الإمارة وأجوبة المغيلي على أسئلة الأسقيا: قراءة في المضمون.

حقق الباحث زبادية عبد القادر مصنف "أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي"([2])، في حين ما تزال الوثيقة الأهم " رسالة الإمارة" مخطوطة، وقد عثرنا على نسخة منها مصورة بزاوية المغيلي، نحاول تقديمها وقراءة مضمونها، والوقوف على حصيلة اجتهادات المغيلي السياسية.

مخطوط " فيما يجب على الأمير من حسن النية في الإمارة" هو نفسه "رسالة الإمارة"، يشتمل على عشر لوحات، مسطرتها 26، خطها مغربي أسود، ناسخها غير مذكور، ويبدو أن كتابتها حديثة وليس فيها نقص أو محو.

كتب المغيلي هذه الرسالة إلى أمير كانو محمد رومغا في حدود عام 1496م على الأرجح، وعالج فيها مسائل هامة تتعلق بالأمير والإمارة وسياسة الحكم، وضمنها نصائحه وتوجيهاته للأمير، وقد حرص على تحديد مجموعة نصائح وضوابط يسير عليها الأمير، وهي:

– إحسان النية للإمارة: فالإمارة ابتلاء من الله، والواجب على كل من تولى أمور المسلمين إخلاص النية، ويجب على كل حاكم تأدية مسؤوليته على الوجه الأكمل لأن

---

1 انظر عمار هلال: مقارنة بين آثار وجهود المغيلي وعثمان دان فوديو في العلم والدعوة إلى إصلاح أحوال المسلمين، الملتقى الثقافي الأول محمد بن عبد الكريم المغيلي، مرجع سابق، ص 92 وما بعدها.

2 انظر النص المحقق , زيادة عبد القادر: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا جنوب الصحراء، مرجع سابق، ص.ص، 151-191

الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، ويبدو تأثر المغيلي بالماوردي واضحا في تعريفه بالإمارة وبيان أحكامها.

- إحسان الهيئة: يتحدث المغيلي عن حسن هيئة الأمير، وكل ما يتعلق بخلقه وخلقته.

- ترتيب المملكة: يؤكد المغيلي أن الأمير يحتاج في إدارة إمارته الى أعوان ومستشارين وكتاب، وأمناء على بيت المال، وأما الوزارة فيجعلها من الوظائف الأساسية في نظام الحكم الإسلامي، على أن يكون من يتولاها يخشى الله، كما يؤكد على ضرورة أن يكون الأمير جيشا لحماية مملكته والحفاظ على استقرارها.

- الحذر في الحضر والسفر: الحذر واجب من طرف أولي الأمر في حضرهم وسفرهم، وفي طعامهم وفراشهم، وصفات الكياسة والفطنة والدهاء ضرورية للأمير لأن فيها حفظ لشخصه ومملكته، وعلى الأمير أن يظهر الحزم في جميع شؤون إمارته ليتمكن من تسييرها دون عناء.

- الكشف عن الأمور: الرقابة على الأمناء والأوصياء ضرورية ومفيدة، ويتوجب محاسبة العمال وزجرهم وإبعاد المداحين من مجالس الحكم.

- العدل في الأحكام السلطانية: العدل والإحسان ضروريان للأمير، وعلى كل من تولى شيئا من أمور الأمة أن يجلس كل يوم لسماع هموم الناس، وعلى الأمير أن يعاين ويطلع على أوضاع الرعية.

- جباية الأموال من وجوه الحلال: يجبي الأمير الأموال من وجهها الحلال، ويعاقب كل قادر ممتنع عن أداء حق الله.

– مصارف أموال الله: تصرف الأموال في وجوه الحلال، ويشدد المغيلي على إعطاء الأموال لمستحقيها حسب مرتبتهم([1]).

ويؤكد المغيلي في ختام وصيته للأمير ومن خلاله كل حكام المسلمين على الالتزام بالعدل والإحسان، ويظهر بوضوح تأثر المغيلي بعلماء المسلمين الذين كتبوا في السياسة الشرعية، وتتجلى اجتهاداته وأحكامه في كثير من المسائل الفرعية الخاصة بالوضع السياسي والاجتماعي لهذه الإمارات الإفريقية، وهو يورد حججا دامغة في وجوب إعلان الحرب على المرتشي المتحالف مع الكافرين، وتطبيقا لاجتهادات المغيلي اعتبر مجاهدو السكوتر زعماء الهوصا وأتباعهم غير مؤمنين وأعلنوا ضدهم الجهاد([2]). كما ان فكرة مركزة السلطة السياسية حول مؤسسة الملك التي شجعها المغيلي ساهمت في تطوير النظام السياسي للقبيلة، وهذه الأفكار أحدثت فيما بعد تغيرات كبيرة في البلدان الإفريقية.

من جهة أخرى لا تبتعد كثيرا أجوبة المغيلي عن أسئلة الاسقيا من توجيه النصح للأمير، وتوضيح الأحكام السلطانية التي ترشد مملكته، وهي وثيقة مهمة كتبها المغيلي عام 1502 للسلطان اسقيا محمد الأول ليجيبه عن أسئلة تتعلق بانشغالاته السياسية وقضايا تنظيم الإمارة وأحوال الرعية([3])، ونستخرج من مضمون الإجابات السبعة تأكيد المغيلي على المسائل السياسية الآتية:

---

1 انظر محمد بن عبد الكريم المغيلي: فيما يجب على الأمير من حسن النية في الإمارة، مخطوط، زاوية المغيلي، ادرار ,

2 انظر مداخلة عبد الله الالوري: الشيخ بن عبد الكريم المغيلي. الملتقى الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة ادرار , مرجع سابق, ص 26

3 انظر التقديم الذي خصه زيادية لتحقيق المخطوط، زيادية عبد القادر: المرجع السابق، ص 152. 153

– السلطان راع لا مالك: أكد المغيلي أن الملك لله وهو الذي يحفظ ويعين الطائع، وكل راع مسؤول عن رعيته، وأوصى الأمير بالعدل والابتعاد عن أهل الشر وتقريب أهل الخير.

. إبعاد علماء السوء عن السلطان ومصالح الناس: أوضح المغيلي أن علماء السوء شرهم مستطير وهم أضر على المسلمين من جمع المفسدين، وبطانة هؤلاء لا تألوا الأمير إلا خبالا، ومن واجب الأمير ألا يترك المفسدين يتكلمون في الدين.

. تقريب أهل الذكر واستشارتهم: أهل الذكر يجدد الله للناس بهم دينهم، ويتوجب على السلطان الرجوع إليهم والاستماع إلى نصحهم واستشارتهم، وعلى الأمير أن يكون كيسا فطنا له منزلة من العلم والعمل.

. وجوب معرفة من تجب مجاهدتهم: على الأمير أن يكون عارفا أوجه الجهاد الحقيقية فلا يجاهد المسلمين، والكفار أصناف ثلاثة كما بين المغيلي، الكفر الصريح، وكفر المسلم المرتد، وكفر المسلم الذي يحكم بكفره، والبلدان كذلك ثلاث، الأولى السائبة يجوز الجهاد فيها، والثانية البلاد التي لها أمير يسوس الناس في دينهم ودنياهم فلا يحل لأحد أن ينازعه في رعيته، والثالثة بلاد أميرها ظالم، فإن تيسر خلعه فجائز، وإذا كان يترتب عن ذلك مضرة اكبر تراعى قاعدة الحذر من تغيير منكر بمنكر مثله، فعلى الأمير أن يتبين ويرتكب اخف الضررين.

. اتخاذ المحتسب وبيت المال: على الإمام أن ينصب عاملا على الأموال يجبيها من وجوهها الشرعية وينفقها في وجه الخير، ويجب أن يكون المسؤول عن أموال المسلمين تقيا عادلا.

. وجوب محاربة العصاة لأحكام الله: أوصى المغيلي الأسقيا بحفظ حدود الشرع في الميراث والمال، وأن ينتزع الأموال من الأغنياء ويردها على الفقراء، وعلى الإمام أن يجبر القبائل الممتنعة عن توريث الأخوال ويدعوها إلى التوبة والرجوع عن ذلك.

. محاربة المفسدين ومدعي السحر: إن فسادهم في البلاد كبير وعلى الإمام أن يحاربهم ويرجعهم إلى صوابهم، ويمنع المناكر من مثل اختلاط الرجال بالنساء وكشف العورات وتقديس السحرة.

وعلى ضوء هذه الأجوبة نستخلص أن المغيلي اجتهد في بحث مسائل السياسة الشرعية وإيجاد حلول للقضايا الشائكة، وخاصة تلك التي كانت تتميز بها الممالك الإفريقية، وان فتاويه للأسقيا تعد بمثابة قانون شرعي يجمع المسائل التي تنظم الدولة وأحوال المجتمع، وقد أخذ بها الأسقيا وطبقها في مملكته كما أخذ أمير كانو بنصائح المغيلي، وعليه فإن أفكار ونظريات المغيلي السياسة أخذت طريقا للتجسيد في بلاد السودان الغربي، وبفضل واقعية هذه الأفكار وتلائمها مع الخصوصيات الافريقية صمدت تلك الأحكام الشرعية الصحيحة في مجابهة المستحدثات والعقائد الفاسدة وأعطت لإفريقيا جنوب الصحراء الأبعاد الإسلامية السياسية الأصلية والقويمة([1]).

وهكذا يتضح أن الأحكام الشرعية التي أصدرها المغيلي نابعة من المصادر الأصيلة، ومن فكر عالم متبحر وخبير بالشؤون الإفريقية، وهي بذلك تتسم بالجدية والعمق، ومبدأ الاجتهاد الواضح عليها، وقد راعت فتاوى المغيلي أوضاع وظروف الناس في تلك الفترة، مما جعل كتابات المغيلي تتبوأ أهمية بالغة كونها خاضت في صميم الشأن السياسي للسودان الغربي، وهي إلى جانب بعض المساهمات الضحلة مادة ثرية تكشف النظريات والأليات

1 انظر أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة ادرار، مرجع سابق، ص. ص، 34 . 35

التي تعتمد في فهم سياسات الدول الإفريقية وترشيد نظام الحكم بها، ولهذا التفتت مؤخرا مراكز الأبحاث والدراسات الإستراتيجية إلى إعادة قراءة النظم والسياسات التي كانت تسير إفريقيا على عهد الدويلات الإسلامية من اجل فهم سياساتها الحاضرة وفض نزاعاتها الحادة.

ومما سبق عرضه يتبين أن المغيلي لعب دورا رئيسيا في نشر الإسلام بإفريقيا الغربية لا يقل عن الدور الإصلاحي الذي نهض به في توات، وهي خلاصة يؤكد عليها الدكتور عبد الله من نيجيريا بقوله إن أفكار المغيلي " أدت إلى تغير ملموس في حياة الناس... لقد ورث (السكوتو) الجهاد عن الشيخ المغيلي وكان ذلك أحد العناصر الهامة في تطور الإسلام والثقافة العربية ببلاد الهوسا..."([1])،

وقد اتسم الفكر الإصلاحي للشيخ المغيلي بالأصالة والثراء والاجتهاد في القضايا الدينية والدنيوية، وهذا ما يتجلى في اجتهاداته السياسية ونظرته الحصيفة والقويمة لسبل تطبيق الأحكام الشرعية في الإمارات الإسلامية، ولمنهج نشر الإسلام بين الشعوب الوثنية.

الخاتمة

من خلال ما سبق عرضه نخلص للتأكيد على:

. يعتبر الشيخ المغيلي واحدا من كبار علماء المغرب الاسلامي نبوغا في العلوم الشرعية ونها علم العقيدة

1 انظر الدكتور عبد الله: الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار، مرجع نفسه، ص 25

. ألف المغيلي تصانيف عديدة في علم العقيدة بعضها ما يزال مخطوطا، وقد تبين من خلالها أن المغيلي يعتمد الكتاب والسنة في معرفة امور العقيدة وانه يتجنب غير الصحيح منها، فهو يحارب ادعاءات الاولياء وبدع المبتدعين.

. تمكن المغيلي من نشر افكاره ومعارفه، ومنها المتعلقة بعلم العقيدة، الركن الاساسي في دعوته بين الوثنيين في السودان الغربي حيث نهض بمهمة الدعوة للاسلام ونصح الحكام.